الأستاذة : تاوريريت نبيلة

المحاضرة السادسة: النقد التاريخي

سنة أولى ماستر تخصص أدب حديث ومعاصر

يعتبر النقد التاريخي أو المنهج التاريخي أقوى المناهج التي واجهت المناهج الحداثية، هذه الأخيرة نتجت عن هذه المواجهة، لذلك فهو أول المناهج في العصر الحديث. والمتتبع للنقد التاريخي يجده دوما «يتخذ من حوادث التاريخ السياسي والاجتماعي وسيلة لتفسير الأدب وتعليل ظواهره أو التاريخ الأدبي لأمة ما» [1].

هذا النقد يهتم بمدى تأثر الإنتاج الأدبي، أو صاحبه بالبيئة التي يعيش فيها، والمراحل التي مر بها هذا العمل الأدبي لتوازن بين هاته الآراء التي وصفت هذا العمل وتصدر أحكاما لتقييمه.

لقد ركز هذا المنهج النقدي على العلاقة الوطيدة بين العمل الأدبي والمجتمع الذي يتغير بفعل الزمن، كتغير العادات والتقاليد، والأزياء وأنماط السلوك، ويهتم بجوانب التاريخ والذوق والمعرفة لتحليل النص الأدبي»[2].

كما يقسم النقد التاريخي الأدب تقسيما سياسيا فيقال:أدب جاهلي، أدب إسلامي، أدب أموي، أدب عباسي، أدب حديث، أدب معاصر.

أما ظهور هذا النقد فيرجع إلى القرن السابع عشر في انجلترا، وهذا ما عبر عنه الدكتور الربعي بن سلامة في قوله: « وإذا كان المنهج التاريخي قد بدأ في انجلترا، فإن المدرسة الفرنسية هي التي احتضنته وسهرت على تطويره، فلم تقنع بما يتوصل إليه من نتائج نسبية، وإنما حاولت أن تجعل منه منهجا علميا، كمناهج العلوم الطبيعة والبيولوجية، وذلك بالتخلي عن الذاتية التي تتمثل في الذوق الشخصي والاكتفاء بالاعتماد على القوانين الموضوعية التي يمكن تطبيقها على كل الأدباء، وعلى كل الأعمال الأدبية، دون أن تتأثر بأهواء الباحث أو ميوله الشخصية »[3].

هذا وقد أرسى قواعد هذا النقد مجموعة من النقاد الكبار دعوا إلى ربط الأدب بالحياة، وتحليله تحليلا نقديا مستفيدا من المعطيات التاريخية، من هؤلاء النقاد نذكر هيبوليت تين/h.taine (1828-1893)، وفرديناند برونتيار/f.brunetiere (1809-1906)، وش.أ سانت بيف /charle augustin sainte beuve (1804-1889)، وغستاف لانسون/ gustave lanson (1857-1934).

وسنشير إلى ناقدين فقط أسهما إسهاما كبيرا في انتشار هذا النقد وهما: تين، ولانسون.

---

(1) يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، الجزار، ط2، 2009، ص 15.

(2) ينظر، عماد علي الخطيب، في الأدب الحديث ونقده، ص 252.

(3) الربعي بن سلامة، الوجيز في مناهج البحث الأدبي وفنيات البحث العلمي، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 2001، 2002، ص 34،35.

أما الناقد الفرنسي (تين) الذي عاش في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وجهده محصور في "ربط الأدب" بالعوامل الثلاثة الإسلامية المكونة له وهي: البيئة، الجنس، الوسط.

وهذه النظرية « تعتبر ترجمة معتدلة للنظريات الحديثة في ربط الأدب بالحياة، والتي تتحكم فيها عوامل حددها (تين) وهي:

1- البيئة التي ينشأ فيها المبدع.

2- الثقافة.

3- التربية.

4- العوامل الزمانية والمكانية المؤثرة فيه والتي تصبغ أدبه»[4].

والناقد الثاني هو (لانسون) الذي تتلمذ على يديه طه حسين ومن بعده تلميذه محمد مندور، وأصبح المنهج التاريخي في النقد يسمى (اللانسونية) نسبة إلى (لانسون)،بهدف تأسيس نظرية شاملة .

أعلن هذا الناقد الفرنسي عن هويته النقدية والمنهجية سنة 1909[5]، حدد من خلالها خطوات المنهج التاريخي في النقد الأدبي.

أما فرديناند برونتير فقد تأثر بنظرية التطور لداروين ، في حين نجد سانت بيف فقد ركز على شخصية الأديب ، إذ مثلما تكون الشجرة يكون ثمارها ،أما ريمون بيكار فقد واصل النشاط اللانسوني لغوستاف لانسون .

وبانتقالنا للساحة العربية، فإن بداية القرن العشرين، أعلنت بداية الممارسة النقدية التاريخية، على يد نقاد تتلمذوا على رموز هذا النقد نذكر منهم: طه حسين، زكي مبارك، أحمد أمين، العقاد، سيد قطب، محمد مندور هذا الأخير يعد «الجسر التاريخي المباشر بين النقدين الفرنسي والعربي، حين أصدر كتابة (النقد المنهجي عند العرب) وكان ذلك في حدود 1946 »[6].

والمتتبع لمؤلفات هؤلاء النقاد العرب يجد أثر هذا النقد، فطه حسين في كتابه "حديث الأربعاء" تبنى هذا النقد في دراسته لشعر الغزل في العصر الأموي[7]، وربط هذا بروح العصر.

وتناول العقاد في كتابه (العبقريات) بعض الشخصيات الدينية، واستند على «بعض حوادث بارزة فذة في تاريخ بعض الشخصيات لتصور شخصية بطلها»[8].

هذا وقد وجهت لهذا النقد بعض المآخذ، كونه يهتم بصاحب النص والبيئة الإبداعية على حساب النص ذاته، وتركيزه على المحتوى وربطه بالسياقات الخارجية بعيدا عن

---

[4] صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2013، ص 30 ،31.

[5] ينظر، يوسف وغليسي، مناهج النقد المعاصر، ص18.

[6] المرجع نفسه، ص 19.

[7] طه حسين، حديث الأربعاء، ج1، دار المعارف، مصر، ط11، 1975، ص 184

[8] سيد قطب، النقد الأدبي، ص 147.

خصوصية العمل الإبداعي، « ومن أخطر مخا طر المنهج التاريخي، الاستقراء الناقص، والأحكام الجازمة، والتعميم العلمي... فالظن والترجيح وترك الباب مفتوحا لما يجب كشفه من المستندات، اسلم من الجزم والقطع»[9].

إن الاهتمام بالجوانب الخارجية للنص الإبداعي، أصاب هذا النقد في مقتل، فالنقد يجب أن ينطلق من النص ويعود إليه، والنقد التاريخي أضيق من أن يتسع لهذا النص المراوغ الذي يحتاج إلى ميدان أوسع وأخصب من هذا النقد التاريخي المحدود.

---

[9] المرجع نفسه، ص 146،147.